العدد 1697 - السنة السادسة
الإثنين 23 ذي الحجة 1434 - الموافق 28 اكتوبر 2013
Monday 28 October 2013 - No.1697 - 6th Year

العلامة الشيخ الألباني محدث العصر

حجة زمانه في علم الجرح والتعديل ومصطلح الحديث

العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو أحد أبرز العلماء المسلمين في العصر الحديث الذي تخصص في علوم الحديث، ويعتبر الشيخ الألباني من علماء الحديث البارزين المتفردين في علم الجرح والتعديل، والشيخ الألباني حجة في مصطلح الحديث وقال عنه العلماء المحدثون إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ ابن كثير وغيرهما من علماء الجرح والتعديل.

مولده ونشأته

ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني عام 1333 هـ الموافق 1914 في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا - حينئذ - عن أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، فكان والده مرجعاً للناس يعلمهم ويرشدهم.

هاجر صاحب الترجمة بصحبة والده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها بعد أن انحرف أحمد زاغو (ملك ألبانيا) ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية.

أتم العلامة الألباني دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق. نظراً لرأي والده الخاص في المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقد قرر عدم إكمال الدراسة النظامية ووضع له منهجاً علمياً مركزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفي، وقد ختم الألباني على يد والده حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني، مراقي الفلاح في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبلاغة، هذا في الوقت الذي حرص فيه على حضور دروس وندوات العلامة بهجة البيطار.

أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات فأجادها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وأخذ يتكسب رزقه منها، وقد وفرت له هذه المهنة وقتاً جيداً للمطالعة والدراسة، وهيأت له هجرته للشام معرفة باللغة العربية والاطلاع على العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية.

تعلمه الحديث

توجهه إلى علم الحديث واهتمامه به:

على الرغم من توجيه والد الألباني المنهجي له بتقليد المذهب الحنفي وتحذيره الشديد من الاشتغال بعلم الحديث، فقد أخذ الألباني في التوجه نحو علم الحديث وعلومه، فتعلم الحديث في نحو العشرين من عمره متأثراً بأبحاث مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي -رحمه الله- مع التعليق عليه.

كان ذلك العمل فاتحة خير كبير على الشيخ الألباني حيث أصبح الاهتمام بالحديث وعلومه شغله الشاغل، فأصبح معروفاً بذلك في الأوساط العلمية بدمشق، حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة حيث يدخلها وقتما شاء، أما عن التاليف والتصنيف، فقد ابتداهما في العقد الثاني من عمره، وكان أول مؤلفاته الفقهية المبنية على معرفة الدليل والفقه المقارن كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» وهو مطبوع مراراً، ومن أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية أيضاً كتاب «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» ولايزال مخطوطاً.

كان لاشتغال الشيخ الألباني بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أثره البالغ في التوجه السلفي للشيخ، وقد زاد تشبثه وثباته على هذا المنهج مطالعته لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من أعلام المدرسة السلفية.

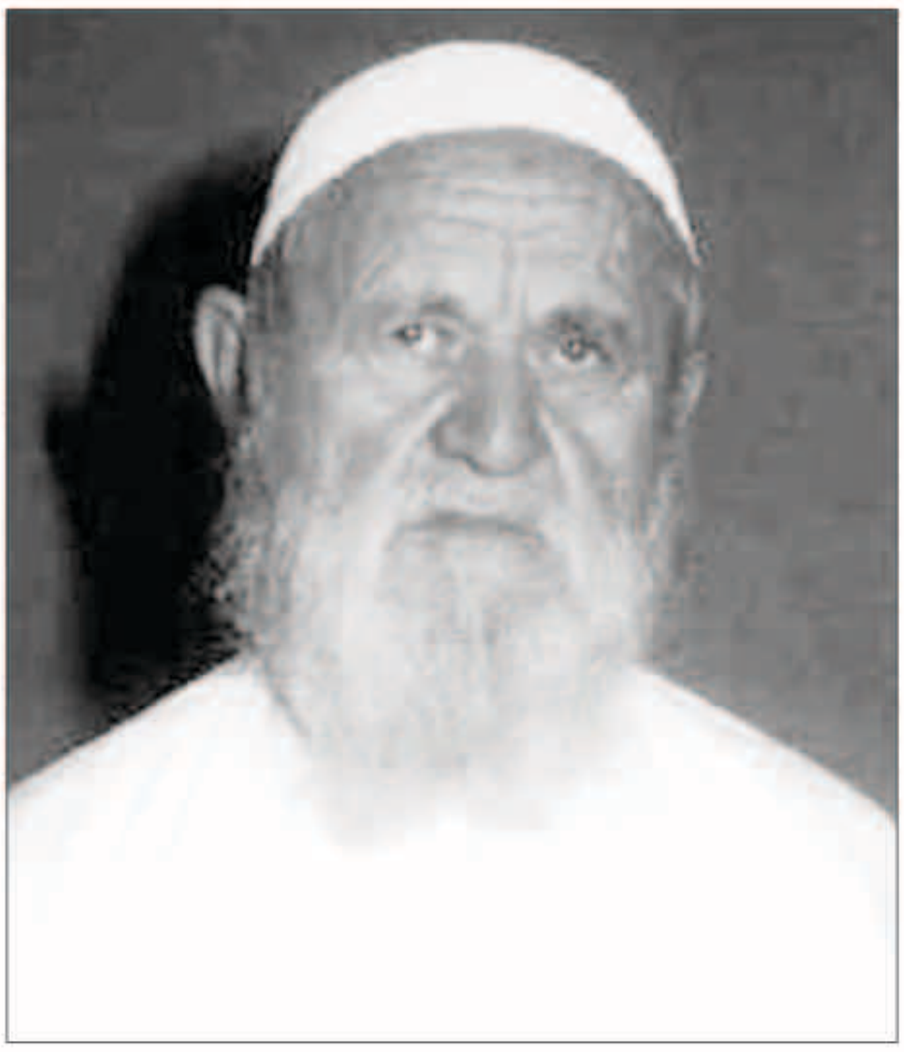

حمل الشيخ الألباني راية الدعوة إلى التوحيد والسنة في سورية حيث زار الكثير من مشايخ دمشق وجرت بينه وبينهم مناقشات حول مسائل التوحيد والاتباع والتعصب المذهبي والبدع، فلقي الشيخ لذلك المعارضة الشديدة من كثير من متعصبي المذاهب ومشايخ الصوفية والخرافيين والمبتدعة، فكانوا يثيرون عليه العامة والغوغاء ويشيعون عنه بأنه «وهابي ضال» ويحذرون الناس منه، هذا في الوقت الذي وافقه على دعوته أفاضل العلماء المعروفين بالعلم والدين في دمشق، والذين حضوه على الاستمرار قدماً في دعوته ومنهم، العلامة بهجت البيطار، الشيخ عبدالفتاح الإمام رئيس جمعية الشبان المسلمين في سورية، الشيخ توفيق البزرة، وغيرهم من أهل الفضل والصلاح -رحمهم الله-.

نشاط الشيخ الألباني الدعوي

نشط الشيخ في دعوته من خلال:

1 - دروسه العلمية التي كان يعقدها مرتين كل أسبوع حيث يحضرها طلبة العلم وبعض أساتذة الجامعات ومن الكتب التي كان يدرسها في حلقات علمية: فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. الروضة الندية شرح الدرر البهية للشوكاني شرح صديق حسن خان. أصول الفقه لعبدالوهاب خلاف. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير شرح احمد شاكر. منهاج الإسلام في الحكم لمحمد أسد. فقه السنة لسيد سابق.

ب - رحلاته الشهرية المنتظمة التي بدأت في أسبوع واحد من كل شهر ثم زادت مدتها حيث كان يقوم فيها بزيارة المحافظات السورية المختلفة، بالإضافة إلى بعض المناطق في المملكة الأردنية قبل استقراره فيها مؤخراً، هذا الأمر دفع بعض المناوئين لدعوة الألباني إلى الوشاية به عند الحاكم ما أدى إلى سجنه.

صبره على الأذى.. وهجرته

في أوائل 1960 كان الشيخ يقع تحت مرصد الحكومة السورية، مع العلم بأنه كان بعيداً عن السياسة، وقد سبب ذلك نوعاً من الإعاقة له. فقد تعرض للاعتقال مرتين، الأولى كانت قبل 67 حيث اعتقل لمدة شهر في قلعة دمشق وهي نفس القلعة التي اعتقل فيها شيخ الإسلام (ابن تيمية)، وعندما قامت حرب 67 رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين، لكن بعدما اشتدت الحرب عاد الشيخ إلى المعتقل مرة ثانية، ولكن هذه المرة ليس في سجن القلعة، بل في سجن الحسكة شمال شرق دمشق، وقد قضى فيه الشيخ ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة حقق مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل.

أعماله وإنجازاته

لقد كانت للشيخ جهود علمية وخدمات عديدة منها:

1 - كان شيخنا -رحمه الله- يحضر ندوات العلامة الشيخ محمد بهجت البيطار -رحمه الله- مع بعض أساتذة المجمع العلمي بدمشق، منهم عز الدين التنوخي -رحمه الله- إذ كانوا يقرأون «الحماسة» لأبي تمام.

2 - اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي، التي عزمت الجامعة على إصدارها عام 1955.

3 - اختير عضواً في لجنة الحديث، التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسورية، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

4 - طلبت إليه الجامعة السلفية في بنارس «الهند» أن يتولى مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك.

5 - طلب إليه وزير المعارف في المملكة العربية السعودية الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ عام 1388 هـ أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة مكة، وقد حالت الظروف دون تحقيق ذلك.

6 - اختير عضوا للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام 1395 هـ إلى 1398 هـ.

7 - لبى دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين في أسبانيا، وألقى محاضرة مهمة طبعت فيما بعد بعنوان «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام».

8 - زار قطر وألقى فيها محاضرة بعنوان «منزلة السنة في الإسلام».

9 - انتدب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء للدعوة في مصر والمغرب وبريطانيا إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق.

10 - دعي إلى عدة مؤتمرات، حضر بعضها واعتذر عن كثير بسبب انشغالاته العلمية الكثيرة.

11 - زار الكويت والإمارات وألقى فيهما محاضرات عديدة، وزار أيضا عددا من دول أوروبا، والتقى فيها بالجاليات الإسلامية والطلبة المسلمين، وألقى دروسا علمية مفيدة.

12 - للشيخ مؤلفات عظيمة وتحقيقات قيمة، ربت على المئة، وترجم كثير منها إلى لغات مختلفة، وطبع أكثرها طبعات متعددة ومن أبرزها، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، وصفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.

13 - ولقد كانت قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية منح الجائزة عام 1419هـ/1999، وموضوعها «الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقا وتخريجاً ودراسة» لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني السوري الجنسية، تقديراً لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجاً وتحقيقاً ودراسة وذلك في كتبه التي تربو على المئة.

وفاته

توفي العلامة الألباني قبيل يوم السبت في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة 1420هـ الموافق الثاني من أكتوبر 1999، ودفن بعد صلاة العشاء.

وقد عجل بدفن الشيخ لأمرين اثنين: الأول: تنفيذ وصيته كما أمر. الثاني: الأيام التي مر بها موت الشيخ -رحمه الله- والتي تلت هذه الأيام كانت شديدة الحرارة، فخشي أنه لو تأخر بدفنه أن تقع بعض الأضرار أو المفاسد على الناس الذين يأتون لتشييع جنازته -رحمه الله- فلذلك أوثر أن يكون دفنه سريعا، بالرغم من عدم إعلام أحد عن وفاة الشيخ إلا للمقربين منهم حتى يعينوا على تجهيزه ودفنه، بالإضافه إلى قصر الفترة ما بين وفاة الشيخ ودفنه، إلا أن آلاف المصلين قد حضروا صلاة جنازته حيث تداعى الناس بأن يعلم كل منهم أخاه.

قالوا عن الألباني

الشيخ عبدالعزيز بن باز

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-: «ما رأيت تحت أديم السماء عالما بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني».. وسئل سماحته عن حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» فسئل من مجدد هذا القرن؟ فقال -رحمه الله-: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر في ظني والله أعلم.

الإمام ابن العثيمين

قال الفقيه العلامة الإمام محمد صالح العثيمين: الذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به وهو قليل، أنه حريص جدا على العمل بالسنة، ومحاربة البدعة، سواء أكان في العقيدة أم في العمل، أما من خلال قراءتي لمؤلفاته فقد عرفت عنه ذلك، وأنه ذو علم جم في الحديث رواية ودراية، وأن الله تعالى قد نفع فيما كتبه كثيرا من الناس، من حيث العلم ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين ولله الحمد، أما من حيث التحقيقات العلمية الحديثية فناهيك به.

العلامة المفسر الشنقيطي

يقول الشيخ عبدالعزيز الهدهد: «ان العلام الشنقيطي يجل الشيخ الألباني إجلالا غريبا، حتى إذا رآه مارا وهو في درسه في الحرم المدني يقطع درسه قائما ومسلما عليه إجلالا له».

وقال الشيخ مقبل الوادعي: والذي أعتقده وأدين الله به أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله من المجددين الذين يصدق عليهم قول الرسول (-صلى الله عليه وسلم-) «إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها».

آخر وصية للعلامة المحدث

أوصي زوجتي وأولادي وأصدقائي وكل محب لي إذا بلغه وفاتي بأن يدعو لي بالمغفرة والرحمة -أولا- وألا يبكوا علي نياحة أو بصوت مرتفع.

وثانيا: أن يعجلوا بدفني، ولا يخبروا من أقاربي وإخواني إلا بقدر ما يحصل بهم واجب تجهيزي، وأن يتولى غسلي (عزت خضر أبو عبدالله) جاري وصديقي المخلص، ومن يختاره -هو- لإعانته على ذلك.

وثالثا: اختار الدفن في أقرب مكان، لكي لا يضطر من يحمل جنازتي إلى وضعها في السيارة، وبالتالي يركب المشيعون سياراتهم، وأن يكون القبر في مقبرة قديمة يغلب على الظن أنها سوف لا تنبش، وعلى من كان في البلد الذي أموت فيه ألا يخبروا من كان خارجها من أولادي - فضلاً عن غيرهم- إلا بعد تشييعي، حتى لا تتغلب العواطف، وتعمل عملها، فيكون ذلك سببا لتأخير جنازتي، سائلا المولى أن ألقاه وقد غفر لي ذنوبي ما قدمت وما أخرت.

وأوصي بمكتبتي -كلها- سواء ما كان منها مطبوعاً، أو تصويراً، أو مخطوطا -بخطي أو بخط غيري- لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح -يوم كنت مدرسا فيها-.

راجياً من الله تعالى أن ينفع بها روادها، كما نفع بصاحبها -يومئذ- طلابها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم.

«رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين».

الإعجاز النظمي للقرآن الكريم

لقد أوتي كل نبي من أنبياء الله وكل رسول من رسله من المعجزات ما شهد له بالنبوة أو بالرسالة، وهذه المعجزات كانت مما تميز فيه أهل العصر، فموسى - عليه السلام - بعث في زمن شاع فيه السحر، فأعطاه الله تعالى من العلم ما أبطل به سحر السحرة، وعيسى -عليه السلام - بعث في زمن شاع فيه الاهتمام بالتطبيب فخلقه الله-سبحانه وتعالى - بمعجزة، وأنطقه وهو في المهد، وأعطاه من القدرات ما خلق بها من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيرا بإذن الله، وما أبرأ به الأكمه والأبرص بإذن الله، وما أحيا به الموتى بإذن الله.

أما خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم - فكان نبوغ قومه في الفصاحة والبلاغة وحسن البيان فأتاه الله تعالى القرآن وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، ولما لم يتقدم عاقل ليقول انه استطاع ذلك ظن كثير من الناس أن إعجاز القرآن الكريم - بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله - متجسد في نظمه وفصاحته وبلاغته خاصة أن القرآن الكريم قد أدهش فصحاء العرب حين سمعوه، وأذهل عقولهم، ولما لم يجدوا سبيلا إلى الطعن فيه لجأوا إلى وصفه بالسحر أو بالشعر إقرارا بعجزهم عن الإتيان بشيء من مثله.

لذلك ركزت الكثرة الكاثرة من القدامى والمعاصرين - على حد سواء - على ناحية نظم القرآن الكريم، وقد كان في مقدمة هؤلاء الجاحظ (ت255هـ) وابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، وتبعه كثيرون كان منهم الواسطي (ت306هـ) والطبري (ت310هـ)، والأشعري (ت324هـ)، والسمرقندي (ت373هـ)، والرماني(ت386هـ)، والخطابي (ت388هـ)، وكل من الباقلاني (ت403هـ)، والقاضي عبدالجبار (ت415هـ)، والثعلبي (ت427هـ) وابن حزم الأندلسي (ت456 هـ)، والظاهري (ت456هـ) والجرجاني (ت471هـ)، والغزالي (ت505هـ) والبغوي (ت510هـ)، وكل من القاضي عياض (ت544هـ)، وابن عطية الأندلسي (ت546هـ) ويذكر ابن عطية في مقدمة تفسيره (1/278) ما نصه «إن الله قد أحاط بكل شيء علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن الكريم، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن الكريم إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن الكريم في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط، ولهذا نرى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولا، ثم ينظر فيها فيغير منها وهلم جرا. وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد وقامت الحجة على العالم بالعرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة وتلا هؤلاء الفخر الرازي (ت604هـ)، وكل من السكاكي (ت626هـ)، والزملكاني (ت 671 هـ) والعز بن عبدالسلام (ت660هـ)، والقرطبي (ت 671 هـ) والبيضاوي (ت685هـ)، والنسفي (ت701هـ)، والخازن (ت741هـ)، وابن كثير (ت774هـ)، والزركشي (ت794هـ) من أعلام القرن الثامن الهجري، والثعالبي (ت876هـ)، والبقاعي (ت885هـ) من القرن التاسع الهجري، والسيوطي (ت911هـ) من أعلام القرن العاشر الهجري، والألوسي (ت1270هـ) من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، ونشطت الكتابة في موضوع الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين نشاطا ملحوظا، وكان ممن خاضوا هذا المجال كل من الأئمة: الزرقاني، الرافعي، الجزائري، المراغي، دراز، أبوزهرة، النورسي، محمد رشيد رضا، محمد فريد وجدي، القاسمي، عبدالجليل عيسى، حسنين مخلوف، أبوزيد الدمنهوري، محمد محمود حجازي، سيد قطب، بنت الشاطئ، بدوي، البيومي، العماري، والمطعني وغيرهم، ومن هنا كان تحديد إعجاز القرآن الكريم في مجال نظمه وبيانه وفصاحته.

ولكن إذا جاز هذا التحديد على موقف التحدي من مشركي العرب - على الرغم من عدم وجود الدليل على ذلك - فإنه بالقطع لا يجوز على إطلاقه، خاصة أن العرب اليوم في جملتهم قد فقدوا الحس اللغوي الذي تميز به أسلافهم، وأن التحدي بالقرآن الكريم للإنس والجن متظاهرين هو تحد مستمر قائم إلى يوم الدين، ما يؤكد أن ما في القرآن من أمور الغيب، وحقائق التاريخ، ومن فهم دقيق لمكنون النفس البشرية وحسن الخطاب في هدايتها وإرشادها وتربيتها، ومن مختلف الصور رسمت أو ضربت لعجائب آيات الله في خلقه، ومن غير ذلك مما اكتشفه ولايزال يكتشفه في كتاب الله متخصصون في كل حقل من حقول المعرفة لا يمكن أن يبقى بمعزل عن ذلك التحدي المفضي إلى الاعتراف بحقيقة الإعجاز القرآني، والدال على أن القرآن كلام الله.